Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر

المجلد 09عدد : 03–19 – اكتوبر 2021 صفحة من : 107 إلى 119

صورة الهند في أدب مرحلة النهضة في اليمن: رواية (كَمْلا دِيْفِي) أنموذجا

The Image of India in Renaissance Literature in Yemen: Kamla Davi,s Novel as a model

د. حيدر محمود غيلان [1]*

haidarghailan@gmail.com قسم اللغة العربية ،كلية الآداب والعلوم ، جامعة قطر ،صب2713 .الدوحة .قطر.

معلومات المقال

تاريخ الاستلام :.2021/07/20.
تاريخ القبول : 2021 /08/08.

الكلمات المفتاحية

الأدب المقارن . الصورة. الهند . اليمن . النهضة الأدبية.

ملخص Abstract

يتناول هذا البحث أصداء النهضة الهندية وتأثيرها في تشكيل صورة الهند لدى رواد النهضة الأدبية في اليمن 1920 – 1948 من خلال معالجة عوامل تشكيل صورة الهند لدى رواد النهضة في اليمن، وصولا إلى معالجة صورة الهند في الأدب اليمني الحديث، متخذا من رواية (كملا ديفي) للكاتب محمد علي لقمان – رائد حركة التنوير في اليمن– أنموذجا، وصولا إلى تناول دلالات توجه رواد النهضة شرقا، وإعجابهم بأنموذج النهضة الهندية في زمن الهيمنة الاستعمارية الغربية على جنوب اليمن والوطن العربي.

This research deals with the echoes of the Indian Renaissance and its impact on shaping the image of India among the pioneers of the literary renaissance in Yemen 1920-1948 by addressing the factors that formed the image of India among the pioneers of the Renaissance in Yemen, leading to the treatment of the image of India in modern Yemeni literature, taking from the novel (Kamla Davi) The writer Muhammad Ali Luqman - the pioneer of the enlightenment movement in Yemen - is a model, to address the implications of the pioneers of the Renaissance orientation to the east, and their admiration for the model of the Indian Renaissance at the time of Western colonial domination of southern Yemen and the Arab world

Key words .

Literary. Renaissance. image of India . Yemen

المؤلف المرسل : د. حيدر محمود غيلان[1]

www.manaraa.com

العنوان صورة الهند في أدب مرحلة النهضة في اليمن: رواية (كَمْلا دِيْفِي) أنموذجا

The Image of India in Renaissance Literature in Yemen: Kamla Davi,s Novel as a model

. مقدمة:

لم تجد العلاقات الثقافية والأدبية بين العرب والهند الاهتمام الذي تستحقه، على الرغم من عمق هذه العلاقات وعراقتها التاريخية، أما التأثير الهندي في النهضة العربية الحديثة، فالدراسات في هذا المجال لا تزال نادرة، حيث انصرف معظم جهد الباحثين إلى الكشف عن دور الغرب في النهضة العربية الحديثة، وهذا أمر متوقع في ظل توجه معظم رواد النهضة في الأقطار العربية شطر الغرب مستلهمين نماذجه النهضوية، ومن هنا يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يعالج جانبا من التأثير الهندي في الأدب العربي الحديث، من خلال معالجة صورة الهند الناهضة ومحاولة استلهامها لدى رواد النهضة الأدبية في اليمن.

وقد استعان الباحث في تناول هذه الجوانب بآليات الدراسات الأدبية المقارن ونظرية التلقي والمنهج الوصفي؛ فتوزع البحث على ثلاثة محاور تناول في المحور الأول مصادر تشكيل صورة الهند لدى رواد النهضة الأدبية في اليمن، وعالج في المحور الثاني صورة الهند في رواية (كملا ديفي) لمحمد علي لقمان، وفي محوره الثالث عالج دلالات توجه رواد النهضة الأدبية في اليمن شرقا لاستلهام أنموذج النهضة الهندية في الوقت الذي كانت فيه الأنظار مشدودة إلى أنموذج النهضة الغربية، على أمل أن تجرى دراسات لاحقة لاستقصاء جوانب أخرى من التأثير الهندي في الأدب الحديث في اليمن بحكم الارتباط التاريخي والعلاقات الثقافية الممتدة بين البلدين عبر القرون.

- **المبحث الأول: مصادر تشكيل صورة الهند لدى رواد النهضة الأدبية في اليمن:**

يأتي الانفتاح على الثقافات الأجنبية الذي شهدته عدن في هذه المرحلة من بين أهم عوامل النهضة الأدبية والثقافية في اليمن[1]، وقد أسهم الارتباط بين عدن والهند في توسيع هذا الانفتاح ليشمل آدابا وثقافات أخرى، حيث استلهم عدد من رواد النهضة رؤاهم النهضوية من أدباء ومفكرين هنود، وتأثروا من خلالهم بقادة الفكر والأدب الإنجليزي.

وتأتي البعثات التعليمية في مقدمة الوسائط التي أسهمت في التواصل الثقافي بين اليمن والهند في تلك المرحلة، فقد ارتبط نظام التعليم في عدن – في ظل الاحتلال البريطاني – إداريا بنظام التعليم في الهند، وخضع لإشراف مباشر من الإدارة التعليمية هناك، وقد ترك بعض الأساتذة القادمين من الهند أثرا واضحا في جيل النهضة في اليمن، حيث ينسب (محمد على لقمان) جانبا من النهضة الحديثة في عدن إلى التعليم[2]، ويشير إلى أن الفضل يعود في تطوير نظام التعليم في عدن إلى أساتذة قدموا من الهند، يعد (عطا حسين) – الذي قدم من الهند إلى عدن وعمل مساعد ضابط المعارف فيها من 1921-1929م – المدرس الأعظم في عدن على الإطلاق وأول تربوي تحمس لتطوير نظام التعليم وإعداد الطلبة للدراسات العليا، على الرغم من أن من جاء قبله من المفتشين الهنود – كما يقول – كانوا أعلى منه في المستوى التعليمي، فقد كان "من أبناء الهنود المسلمين، يحمل شهادة في الأدب، وأخرى في التربية ..وأحرز شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا في المتحدة "[3]، ويورد في مذكراته ما يؤكد التأثير الذي تركه عطا حسين في جيل النهضة في اليمن، يقول: " كان رجلا ذا قدرة

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com

www.manaraa.com

أدبية استثنائية، وخلال مدة خدمته أعد الكثير من الأولاد الأذكياء لامتحانات كمبردج، بما فيهم السيد محمد عبده غانم... وكانت ثقافته العامة ومعرفته بعلم الاجتماع وعلم النفس والنقد الأدبي واسعة جليلة... وكان رمزا مثاليا للرجل المؤثر صاحب النظرة الثاقبة ... كان مدرسي وصديقي ومرشدي ولقد ظللت ثمان سنوات صديقه الملازم له... قرأت اثنتي عشرة مسرحية بتفاصيلها للكاتب شكسبير للشهادة العليا لكامبردج بجانب الشعراء: شيلي وميلتون وكولريدج وتينسون وأونيل وفوار وآخرين كثيرين...لقد أفعمني بالشجاعة في السياسة وحب الحرية وكانت تلك هي السنوات التي بدأت خلالها أشعر كم كانت عدن متخلفة . فأنا اليوم أدين بنجاحي في حياتي إلى أربعة رجال ساعدوني واهتموا بأمري. وكان أحدهم عطا حسين "[4].

وإضافة إلى البعثات التعليمية القادمة من الهند إلى عدن كان هنالك مبتعثون من اليمن لتلقي التعليم العالي في المعاهد والجامعات الهندية، والعمل في مدارسها، وقد عاد بعضهم حاملا هموم النهوض باليمن، فحرصوا على مواكبة ما شهدوه من تطور أثناء وجودهم في الهند، ويكفي أن نشير إلى أن الكاتب (محمد علي لقمان) أصدر كتابه الأول (هل هذه قصاصة من ورق؟) باللغة الإنجليزية (Is this a Scrap of paper) أثناء وجوده في الهند، مطالبا بإصلاح التعليم في عدن، على غرار نظام التعليم الهندي، وهذا ما يشير إليه بقوله: " وفي عام 1924م انتهت خدماتي في مدرسة جوجاراثي وأصدرت نشرة من ستين صفحة باللغة الإنجليزية تحت عنوان "هل هذه قصاصة من ورق؟" بينت فيها أهداف الحكومة والوقائع التربوية والتعليمية في عدن وطبعت بواسطة مطابع التايمز في بومباي "[5] فقد عاد من الهند مقتنعا بأن لا سبيل إلى نهضة اليمن دون القيام بعملية إصلاح التعليم كما يقول: " بعد عودتي من الهند أدركت أن عدن متأخرة جدا، وبدأت أنظر إليها بعاطفة كبيرة. كتبت مقالا في (بومباي كرونيكل) تحت هذا العنوان : وأنه إذا لم تحدث تحسينات صارمة في نظامنا التعليمي فإن الأمل في التطور ضئيل "[6].

وإلى جانب البعثات التعليمية أسهمت الصحافة في تقوية العلاقات الثقافية بين اليمن والهند، حيث عمل عدد من رواد النهضة الثقافية مراسلين لبعض الصحف الصادرة في الهند باللغة الإنجليزية، ومنهم (محمد علي لقمان) الذي أشار في مذكراته إلى أنه عمل مراسلا لصحيفة بومباي كرونيكل (Bombay chronicle) الصادرة في مدينة بومباي، حيث اتفق مع السيد (بيريلوي) رئيس تحرير الصحيفة قبل مغادرته الهند – كما يقول – على أن يكون مراسلا للصحيفة في عدن، وقد نشر فيها موضوعات تعرف القارئ الهندي بجوانب من الواقع الثقافي والتعليمي والمعيشي في عدن، ويكفي أن نشير إلى أن كتابه "هل هذه قصاصة من ورق؟" نشر على شكل سلسلة من المقالات في هذه الصحيفة[7]، كما أن الكاتب أصدر في عدن صحيفة باللغة الإنجليزية حملت اسم (Aden chronicle).

أما قضايا الهند في الصحافة اليمنية، فقد عملت صحيفة (فتاة الجزيرة) – التي تعد أول صحيفة تصدر باللغة العربية في عدن عام 1940م – على تعريف القارئ اليمني والعربي بجوانب متعددة من تاريخ الهند وواقعها الثقافي والسياسي، ومن المقالات التي نشرتها صحيفة (فتاة الجزيرة) حول الهند بين عامي (1940 – 1945) نذكر العناوين الآتية:

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

– الهند والحرب الحاضرة[8] – أبناء الهند الداخلية[9] – الهند بين الماضي والآتي[10] – مستقبل الهند ومستقبل الإنسانية[11] – من هو بهادر محمد ياسين محمد خان[12] – صلاة للشاعر الهندي طاغور، ترجمة حمزة علي لقمان[13] – المعهد النسوي الهندي (في عدن)[14] – لماذا يفضل العدني الفلم الهندي على غيره؟[15]

ومن وسائط التواصل الثقافي بين الهند واليمن السينما، وفرق المسرح الهندي؛ فقد بدأت السينما منذ ظهورها في عدن مطلع القرن العشرين بعرض الأفلام الهندية، وقد تعرف الجمهور اليمني على جانب من الثقافة والفن والأدب والحياة في الهند من خلال هذه الأفلام، كما أسهمت هذه الأفلام في دخول بعض الألفاظ الهندية إلى اللهجات اليمنية، ولتأكيد الأثر الذي تركته الأفلام الهندية في المشاهد اليمني في تلك المرحلة، يكفي أن نشير إلى مقالة كتبها (علي أحمد باصهي) عام 1945 ، تحت عنوان (لماذا يفضل العدني الفلم الهندي على غيره)[16]، استعرض فيها أنواع الأفلام التي كانت تعرض في دور السينما في تلك المرحلة، مؤكدا أن الأفلام الهندية وجدت رواجاً في عدن بعد ظهور السينما الناطقة، وأثرت تأثيرا بالغا في أذواق المتلقين، معللا هذا الانجذاب بقوله: " وعندما أدخلت السينما الناطقة وعرض فيها أول فلم هندي صادف هذا الفلم نجاحاً كبيراً... فألف العدني الموسيقى والغناء الهندي فأحبهما، فكان يندفع بكليته، لمشاهدة الأفلام الجديدة؛ لعله يظفر بلحن يردده، ولا تزال هذه الحالة إلى يومنا"[17] وهذا – أيضا – ما يؤكده (حمزة لقمان) في مقالته عن الموسيقى والغناء في عدن، حيث أشار إلى تأثير الألحان الهندية في بعض الأغاني اليمنية الرائجة في تلك المرحلة[18].

وكان لفرق المسرح الهندي التي قدمت إلى اليمن أثر في تعرف اليمنيين على هذا الفن الجديد؛ فقد شهدت عدن أول العروض المسرحية عام 1904، عند قدوم فرقة تمثيل هندية، مما دفع رواد النهضة إلى تأسيس أول فرقة مسرحية يمنية عام 1910 ، ودفع المهتمين بالمسرح إلى ترجمة مسرحيات أجنبية عن الإنجليزية والهندية، ومهد الطريق لظهور المسرحية في الأدب اليمني بعد عقدين؛ أي في ثلاثينيات القرن العشرين[19].

وإضافة إلى ما ذكرنا، كان للهجرات والزيارات المتبادلة دور في تقوية الترابط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بين اليمن والهند في تلك المرحلة، حيث كانت الجالية الهندية من أكبر الجاليات الأجنبية في عدن، ونجد عددا من رواد النهضة في اليمن يرجعون في نسبهم إلى عائلات هندية، هاجرت إلى عدن واستقرت فيها، نذكر منهم الكاتب عبدالله يعقوب خان الذي تناول تاريخ عدن في سلسلة من المقالات، نشرت في صحيفة فتاة الجزيرة بين عامي 1940 – 1945، كما ألف كتاب (الأمثال العدنية) الذي نشر في تلك المرحلة، وفي الوقت ذاته نجد عددا كبيرا من اليمنيين قد اختاروا الهجرة إلى الهند، ومن بين الأسر المهاجرة إلى الهند أسرة الرائد النهضوي (محمد علي لقمان) الذي يشير إلى تأثير هذه الهجرة أو الزيارة قائلا: " في عام 1923م قرر والدي أن أسافر إلى الهند لإحضار عمتي المسنة وقد التحقت بأخوي صالح وعبد المجيد وقد وصلنا إلى بومباي ..... سافرنا من بومباي بالقطار السريع إلى سورات وديفلالي وناج بور حيث وجدت أقاربي وجميعهم أصلا من همدان في اليمن .... وقد أخذت إخواني خلال السبعة الأيام إلى حديقة الحيوان التي نراها لأول مرة،

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

والمتاحف والجامعة، وكثير من المدارس العليا، ومرافئ إصلاح السفن الضخمة، والمسارح الكبيرة، والبيوت ذات المناظر الجميلة، والمكتبات الفنية، بما فيها مكتبة المجتمع الآسيوي التي أوصاني بها عطا حسين"[20]. فقد كان الكاتب على وعي بدور الهجرات والسفر في زيادة التفاعل الثقافي والترابط الاجتماعي بين الشعبين: " هذه كانت تجربة مدهشة فالسفر دائما وسيلة لتحسين تعليم الرجل وثقافته العامة وتزوده بخلفية من المعرفة أو ما يطلق عليها علماء النفس كتل الإدراك الحسي... وقد روت لي عمتي كيف قام أسلافي بتأسيس المدرسة الإسماعيلية في وسط الهند، خاصة في اوجاين وكان جدي الأكبر يملك مصنعا للذخيرة في مهاو في وسط الهند"[21].

ويعترف الكاتب أن هذه الزيارات قد شكلت وعيه القومي، ودفعته إلى تحمل مسؤولية قيادة النهضة والتغيير في اليمن، بعد أن أدرك الفرق الشاسع بين واقع اليمن وما وصلت إليه الهند من تطور، يقول: "كما أن رحلاتي في الهند أعطتني نظرة أكثر اتساعا بعد أن قابلت أشخاصا في السلطة، يحكمون ويتبوؤون مراكز مسؤولة .... ولأول مرة أشاهد حشودا كبيرة تتحرك في مواكب منظمة يهتفون للحكم الوطني كمخرج وحيد من الامبريالية والسيطرة الأجنبية. قاطعوا كافة المنتجات البريطانية ... وبانشراح عانوا العقاب والسجن الصارم واعتنقوا جميعا مبادئ غاندي العليا بنبذ العنف، وأعلنوا الإضرابات مطالبين بالحرية... وجدت نفسي في عالم جديد ملهما بأفكار جديدة عن الشعور القومي والروح الوطنية "[22].

ومن معالجتنا لمظاهر الانفتاح والتواصل الثقافي بين عدن والهند يتضح أن الصحافة والتعليم والهجرات والسينما والمسرح كانت من أبرز وسائط تشكل صورة الهند لدى أدباء مرحلة النهضة في اليمن، وإذا كنا قد أشرنا في تناول هذه العوامل إلى جوانب من فاعليتها في النهضة الأدبية في اليمن، فإننا سنعالج هذا التأثير في الجانب الأدبي من خلال رواية (كملا ديفي) في المبحث اللاحق.

– المبحث الثاني: صورة الهند في رواية (كملا ديفي) للكاتب محمد علي لقمان:

تمثل رواية (كملا ديفي: آلام شعب وآماله) للكاتب محمد علي لقمان[23] الصادرة عام 1947 من البدايات الأولى للفن الروائي في اليمن[24] ؛ فلم يسبقها سوى رواية (فتاة قاروت) للكاتب أحمد السقاف التي صدرت عام 1928، ورواية (سعيد) الرواية الأولى للكاتب نفسه التي صدرت عام 1940، وتجسد من خلال عنوانها وعناصرها السردية تأثير الثقافة الهندية في أدباء النهضة في اليمن ، وتكشف عن عمق التداخل الاجتماعي والثقافي والسياسي بين اليمن والهند في تلك المرحلة، وتتضمن الرواية مشاهد من زيارة كاتبها إلى الهند عام 1923 والتطور الذي شهدته بعد أن عاد إليها عام 1936م ، فالرواية مقارنة بين واقع جامد في اليمن وواقع متطور شهدته الهند في المرحلة نفسها، وقد دارت أحداث الرواية في ولاية هندية بائسة أطلق عليها الكاتب اسم (باولابور)، كانت تعاني من تسلط ملكها واضطهاده لشعبه ، ويأتي الخلاص من هذا الوضع البائس على يد بطلة الرواية التي جعل الكاتب من اسمها عنوانا لروايته (كملا ديفي) وهو اسم هندي يعني زهرة الآلهة، حيث رفضت الخضوع لغطرسة الحاكم، فيقع في حبها، وتنجح في إقناعه بضرورة نشر المعرفة، وتحقيق العدل والرخاء لشعبه ، وتحقق بما تمتلكه من قدرات عملية النهضة والإصلاح، بعد أن عالجت الملك من داء التسلط.

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

وعلى الرغم من أن أحداث هذه الرواية قد دارت في الهند، وشخصياتها الرئيسة هندية، فإن الدافع لكتابتها محلي، وغايتها تشخيص مشكلات الواقع اليمني والعربي في تلك المرحلة، وخلق الدافع لدى العرب للحاق بركب الأمم الناهضة، من خلال استدعاء الصورة الايجابية للأنموذج الهندي في النهضة الحديثة، في مقابل الصورة السلبية للواقع في اليمن والوطن العربي، وهذا ما يكشف عنه الكاتب في مقدمة روايته قائلا: "وقعت حوادث هذه القصة في إحدى الولايات الهندية وإن كانت الأسماء خيالية. وجنوب الجزيرة العربية بحاجة إلى من يضحي في سبيل النهوض بها إلى مستوى عال يرفع من قدرها. وفي هذا الجنوب الشيء الكثير من الإسراف والعبث بمصالح الناس. فلعل لنا في هذه القصة عظة, ولعل لنا في حوادثها عبرة"[25].

وقد قسم الكاتب روايته على فصول تشير في ترتيبها إلى مراحل النهضة ومتطلباتها، فمع هذه الفصول تتطور صورة الهند من البؤس إلى الرخاء، فالكاتب يرسم في الفصل الأول مشهد البؤس والفقر في ولاية هندية أطلق عليها اسم (باولابور)، قائلا: " في بقعة نائية وقفت أنظر حولي، بعد أن غادرت محطة القطار في مدينة باولابور، إلى جمهور من المتسولين علا وجوههم شحوب الموتى. وبدا على أجسامهم نحول يزداد وضوحا، لعريها سوى عن ثوب خلق ممزق من كل جوانبه، يكسو تلك الأجساد الهزيلة...هذه مدينة باولابور.. بيوت مبنية بالطين، مؤلفة من طابق واحد وطابقين.. منظرها حقير كئيب.. تراكمت في أزقتها الرمال والأوحال، حتى ليصعب السير فيها.. سكانها من الفلاحين الفقراء، وحوانيتها ملأى بالذرة والبر والحبوب على اختلاف أنواعها، وأسواقها عامرة بالفواكه والبقول والسمن واللبن والزبدة. والسكان كثيرون.. وعربات كثيرة، تجرها الثيران، تصل إلى المدينة من الحقول القريبة.. والأبقار والجواميس في البحيرات المحيطية بالمدينة , وفي كل مكان"[26].

ولأن هذه الأسماء خيالية كما أشار الكاتب، فإن هذه الولاية تعكس صورة الهند في الماضي أو في مرحلة ما قبل النهضة وترمز أيضا إلى واقع اليمن الذي يعيشه المؤلف في زمن الكتابة، ويبدو أن الكاتب أو السارد لم يشهد هذه المرحلة الهندية وإنما رسمها من مخيلته في زمن الكتابة، ويعزز هذا الرأي أن الكاتب أو السارد في الفصل الأول من الرواية يستثني هذه الولاية الهندية (باولابور) مما شهدته الهند من نهضة، وكأنها معزولة في عالم آخر:

" كنت في ميعة الصبا، وكنت قد زرت مدن الهند الكبيرة، بمبي وحيدر آباد وبونا، وشاهدت جامع بمبي، ومجلسها التشريعي، وقرأت الصحف الكثيرة المنتشرة حتى في القرى، والتقيت بغاندي زعيم الجماهير وهو في بداية جهاده الوطني، حين زج به في سجن بارودا، ومررت بمدينة بارودا عاصمة الجايكورا، ورأيت فيها الثراء واليسر رغم استئثار ملكها بخيرات المملكة، واستغلاله لمرافقها ... كانت في بارودا مدارس ومحاكم وقضاء للفصل في مشاكل الناس، وبعض الصحف ومكتبة عمومية.. أما في باولابور فلم يكن فيها شيء يدل على حياة، أو يبعث في النفس أي أمل ...رأيت بعد باولابور دلهي الجديدة، وآجر الجديدة، وسملا عاصمة الهند الثانية، ومركز نائب الملك في الصيف،

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

وآليجر العظيمة.. وقابلت وزير المعارف المستر شارما في دلهي، وكبار الأساتذة وعظمة الرجال.. وشاهدت خطى الهند السريعة نحو الحرية والاستقلال.. فنسيت باولابور ولم يعد يذكرني بها لبضعة سنوات سوى ذلك الشال الأحمر الذي أهدانيه الفندقاني على الحرازي".[27]

هذه المقاطع من الرواية تدل على إعجاب الكاتب أو السارد بقادة التنوير في الهند وبالأنموذج الهندي للنهضة الحديثة، في الوقت الذي يتحدث فيه عن البؤس الذي تعانيه ولاية باولابور، التي ترمز إلى واقع البؤس والجمود الذي تعاني منه اليمن والأقطار العربية الأخرى، حيث تتداخل الصورتان صورة باولابور وصورة اليمن بوجود شخصيات عربية في هذه الولاية ومنها الراوي، وشخصية (على الحرازي) كما يظهر من خلال المقطع الآتي:

" أفقر، ومرض، وجهل.. إلى جانب خصوبة في الأرض، ووفرة إنتاج زراعي؟

التفت إليّ متشككا فاغرا فاه ثم سألني: من أنت؟ ومن أين أتيت؟

قلت: أنا عربي، قدمت من جنوب جزيرة العرب، واسمي محمد... قام على قدميه، وقد غمره السرور. فقد كان هو عربيا أيضا، جاء إلى بلد الهند قبل أربعين سنة. حدثني عن وطنه.. فقد كان من (حراز) في اليمن.. وحملت إليه ما عرفت عنها وعن أهلها في ذلك الزمن.. فقد كانت العربية السعيدة آنئذ أقرب إلى السعادة منها إلى الشقاء الحاضر! ..."[28]

حيث أشار السارد إلى الشقاء الحاضر في بلده اليمن، وجعل منه معادلا لشقاء باولابور، لكن في فصول الرواية الأخرى نشهد أحداثا تقود إلى تغيير جذري في واقع هذه الولاية، يرسم من خلاله الكاتب صورة الهند الحاضرة، الهند الأنموذج الناهض الذي يطمح إلى محاكاته في وطنه اليمن:

" سافرت إلى الهند مرة أخرى في عام 1936م. وبقيت فيها أدرس الحقوق حتى عام 1938م. وفي العطلة الصيفية قمت برحلة طويلة شاقة أزور فيها المدن والقرى، وكانت قد تغيرت في خمسة عشر عاما.. تبدلت عماراتها، وتقدمت فيها الصناعة حتى أصبحت تضاهي أوروبا في نشاطها الصناعي، واشتد الهياج والمطالبة بالاستقلال، وألِّفت الأحزاب القوية، وكثر أشياعها وتناقلت الصحف أخبار الضحايا في سبيل الوطن والحرية وازدهر العلم، وأثرى الشعب؛ وانتقلت الدولة والحكم إلى أيدي الهنود، فلم يعد الإنسان يرى هنديا يحتقر، ولا مريضا لا يجد الدواء، ولا طفلا بلا غذاء لروحه وجسده في أمهات المدن، رغم وجود تفاوت عظيم بين الفقراء والأغنياء، ورغم استفحال الفقر عامة، وانتشار الأمية في عشرات الألوف من القرى. تذكرت البؤس والشقاء، والفقر والجوع، والظلم والاستهتار.. ولكنني شاهدت تبدلا كليا في نظام المحطة، وهيئة الناس، وبزة السكان؛ ولاحظت علائم السعادة، وأمارات النعيم، على وجود النساء وهن في سواريهن (اللباس الهندي للنساء) ذات الألوان الجذابة بالحواشي المذهبة. وقفت أتساءل.. أي مدينة هذه؟ أهذه باولابور، التي زرتها عام

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

1923م؟ هذا مستحيل! هذا مدينة حديثة سعيدة! هذا الراديو يشجي الأرواح بموسيقاه اللطيفة، وهذه الأسطوانات الهندية تدفع بالناس إلى الرقص حتى على قارعة الطريق.. هذه مدينة راقصة.. هذه لا يمكن أن تكون باولابور الشقية"[29].

ولأن غاية الرواية تحفيز الوعي النهضوي؛ فقد أسند سرد أحداث هذا التغيير الذي نهض بواقع بولا بور إلى شخصية يمنية، كانت شاهدة على عملية التغيير التي قادتها بطلة الرواية (كملا ديفي) في ولاية باولابور، وكأن الكاتب أراد من خلال إسناد السرد إلى (على الحرازي) أن يواصل رصد صورة الهند الناهضة بعيون عربية: " دب اليأس إلى قلب كل إنسان، حتى كان يوم قدمت فيه من مدينة جيبور فتاة رافقت أمها إلى تلك المقاطعة الكبيرة، حيث تلقت علومها الثانوية.. وكانت هذه الفتاة (كملا ديفي) حبيبة الشعب الباولابوري، وبنت هذا الوطن الحبيب "[30]. فقد استطاعت أن تنبه الملك وتشعره بمعاناة شعبه، وتدفعه إلى العمل على معالجة مشاكله، حيث " سار معها الراجا، فأخرجته من القصر إلى المدن ومنعطفات القرى، رأى أول ما رأى امرأة تجود بروحها من شدة الجوع، وأطفالها حولها يتباكون، والناس يفرون من شدة ما أصابهم من الرعب لدى خروج الملك محاطا بزبانيته، جزع الراجا لمنظر البؤس والموت. فانبعث صوت (كملا) في الفضاء كأنه نداء من السماوات يردد قائلا: الحرية هي العلم والمعرفة، هي الأمن والطمأنينة، هي المساواة بين الأمير والمأمور، وبين الغني والفقير، وبين الرجل والمرأة. هي الاعتراف بالحق، والإذعان للحق. الحرية غذاء النفوس. هي حق التعبير عن الآلام والآمال، حق محاسبة المسيء والجاني، وإن كنت أنت أيها الراجا ديوجي ... (آزاد زندا باد) فالتحيا الحرية! قالها الراجا بصوت صادر من أعماق قلبه"[31].

وقد ساعدت هذه المرأة – بعلمها وحنكتها – الملك فقادته إلى إحداث التغيير المنشود، حيث " عاد إلى قصره وفتح أبوابه للعلماء من الأقطار، وللخبراء ولأرباب المهن، وفتح الخزائن، ملك عليه حب شعبه كل تفكيره. ومضت عشر سنوات حدث فيها ما رأيت من الانقلاب العظيم"[32].

وهذه الصورة التي تجسد عملية التغيير المذهلة في ولاية (باولابور) تمثل صورة العالم الحلم الذي يسعى كاتب الرواية إلى تحقيقه واقعا في بلده، لاسيما أن واقع باولابور كان أشد بؤسا من واقع اليمن والوطن العربي في تلك المرحلة، والفارق يتمثل في أن الزمن في باولابور متغير وفاعل، بينما الزمن في واقع الكاتب جامد؛ نتيجة لغياب المحاولات القادرة على الفعل الإيجابي.

ونستشف من إسناد بطولة الرواية وقيادة عملية التغيير إلى امرأة، دلالات مرتبطة بواقع المرأة في اليمن في تلك المرحلة، حيث شهدت صراعا بين رواد التنوير في اليمن، ودعاة التقليد الذين حاولوا الوقوف ضد تعليم المرأة ومشاركتها الرجل في العمل، فقد عمد الكاتب إلى تفنيد النظرة القاصرة إلى المرأة ودورها في عملية البناء والتنوير، من خلال أحداث الرواية وشخصياتها، وهذا ما نلمسه في قول (الحرازي) نقلا عن والده قبل أن يفارق الحياة:" لقد كان والدي يذكرك حتى آخر يوم من حياته رحمه الله، ولا ينسى لقاءكما. وكان يقول: ليت صديقي محمدا يرى هذا التبدل العظيم في حياة هذا الشعب! ليته ينظر ما فعلته المرأة! إن حواء أخرجت آدم من الفردوس، ولكن

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

حواء باولابور أعادت إلى آدم فردوسه المفقود! هكذا كان أبي يتحدث كلما ذكرك"[33] فهذا الكلام الذي يأتي على لسان شخصية يمنية عاشت في الهند ، يوحي بحرص الكاتب على أن يكون للمرأة اليمنية دور في عملية النهضة كما هو الحال في الهند.

وبذلك تكون رواية (كملا ديفي) – بفضائها وشخصياتها وأحداثها – نتاجا لتأثر كاتبها محمد على لقمان بمظاهر النهضة الهندية الثقافية والسياسية والاجتماعية، في أثناء إقامته في الهند، وقبلها من خلال تأثره بأساتذته الهنود الذين تتلمذ على أيديهم أثناء دراسته في المرحلة الثانوية في عدن، وإضافة إلى ما تكشف عنه هذه الرواية من علاقات ثقافية وترابط اجتماعي بين اليمن والهند في تلك المرحلة، نجد تأثرا واضحا للكاتب بحكايات ألف ليلة وليلة، وكأنه أراد من خلال استلهام هذا العمل أن يكشف عن التفاعل الثقافي الممتد عبر العصور بين العرب والهند، فبطلة الرواية (كملا ديفي) التي استطاعت تغيير المهراجا إلى الأفضل وشفائه من عقد التسلط، تذكرنا بشهرزاد بطلة ألف ليلة وليلة التي استطاعت بذكائها أن تخرج شهريار من عقدته وأن تغير نظرته إلى المرأة.

– المبحث الثالث: دلالات مثالية صورة الهند لدى رواد النهضة في اليمن:

الملفت للنظر أن نجد رواد النهضة في اليمن يتجهون شرقا؛ لاستلهام أنموذج النهضة الهندية، في الوقت الذي كانت فيه الأنظار مشدودة إلى الغرب، بفعل الهيمنة الاستعمارية الغربية على الشرق، وإعجاب معظم رواد النهضة في الدول النامية بالحضارة المادية الغربية، ومع أن رواد النهضة في اليمن في حديثهم عن دور الشرق في الحضارة الحديثة لم يطالبوا بنبذ الحضارة الغربية وعدم التأثر بها، إلا أن انفتاحهم على الهند وإعجابهم بنهضتها في وقت كانت فيه عدن ترزح تحت الاحتلال البريطاني يجسد – إضافة إلى ما ذكرناه سابقا – رفض رواد النهضة في اليمن المفهوم الغربي السائد للعلاقات الأدبية، الذي يكرس مبدأ المركزية الأوربية، والهيمنة الغربية على الشرق والتقليل من دوره في بناء الحضارة الإنسانية[34].

ويكفي أن نشير هنا إلى آراء بعض رواد النهضة الأدبية في اليمن حول دور الشرق في النهضة الحديثة، ورفضهم التقليل من هذا الدور، وهذا ما جعل إعجابهم بالنهضة الهندية وتأثرهم بها مبررا؛ فقد استهجن الكاتب النهضوي (أحمد عبد الوهاب الوريث) تجاهل بعض الباحثين الغربيين لقدرات العرب و إسهامهم في بناء الحضارة الإنسانية، ومحاولة تفسير النهضة العربية الحديثة على أنها نتاج لتأثر العرب بالغرب، ويرى أن الهدف من ذلك إقناع الشرق بأن لا أمل له في النهضة دون اتباع الغرب[35].

وحاول الكاتب محمد علي لقمان تفنيد الرؤية الغربية للعلاقات الأدبية والثقافية، من خلال تذكير دعاة المركزية والهيمنة الغربية بأن تطور الحضارة الإنسانية تراكمي، وأن ما يشهده الغرب من تطور في العصر الحديث يعود الفضل فيه إلى الشرق، ففيه " ترعرع الفن وبذرت بذور الفلسفة، ولكن تلك المدنيات تقوضت دعائمها، فاستيقظ الغرب على ضوء حضارة الشرق، وتفتحت أمام عينيه آفاق

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

جديدة، وسعت نطاق نشاطه وزادت في ازدهار مدنيته، حتى بدا الشرق مظلماً فنظر إلينا الغرب بشيء من الترفع وظن أنّه من طينة أعلى، وشاركه في هذا الشعور الكثيرون من أبنائه إلا بعض الشعراء أو الأدباء والمؤرخين، أمثال (كارليل) و(نكولسن) و(لامارتين) و(بيرلوني)، بعد زيارتهم للشرق واستلهامهم الوحي من جمال طبيعته"[36] .

وقد حذر الشاعر والأديب محمد محمود الزبيري – أيضا – من خطورة هذا المفهوم القائم على اختلال التوازن المادي بين الغرب والشرق، ومحاولة أنصاره أن يجعلوا من التفوق المادي الغربي وسيلة لفرض الهيمنة الأدبية والثقافية على الشرق، حيث " تعرض الأدب في هذا العصر لأخطار جسيمة، حينما فاجأه الغرب بهذه المدنية الضخمة القوية، في إبان غفلته وسباته، وقد بقي التوازن العالمي مختلاً، وظلت السيادة للغرب على الشرق لا في السياسة وحدها ولا في الاقتصاد معها، بل وفي الأدب والثقافة والأخلاق والاجتماع وكل شيء آخر"[37].

ويعلل هذا الانبهار بالحضارة الغربية وخضوع بعض المشرقيين لهيمنتها بقوله: " ولما وجدوا حضارة أوروبا العلمية والمادية، خيل إليهم أن أعصاب الأوروبيين وغرائزهم الطبيعية، خلقت خلقاً آخر، في مصانعهم الجديدة، وهذا آت من أنهم لا يفرقون بين قيمة الأشياء، ولا يدركون البون الشاسع بين طبيعة القوى المادية والروحية، فالأدب الأوروبي عندهم هو وحده الأدب البديع الرائع، لا لأنه يلذ لهم، ولكن لأنه يعبر عن لسان الدبابة والقنبلة، ولأنه جاء إلى المشرق مسلحاً بالأسلحة الجديدة ويؤيده المال والسياسة والمجد والسلطان "[38].

وبهذا يكون إعجاب الرواد برموز الأدب والثقافة الهندية وقادة التحرر والتغيير في الهند ومحاولة استلهام الأنموذج النهضوي الهندي، ثورة ضد المركزية الأوربية، وترجمة عملية لرفض الهيمنة الغربية على الشرق.

– خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن العلاقات الثقافية بين اليمن والهند كانت عميقة إلى درجة يصعب معها تجاهل هذه العلاقة حين معالجة بدايات النهضة الأدبية في اليمن؛ حيث ارتبطت عدن حاضرة اليمن في تلك المرحلة – في ظل الاحتلال البريطاني – سياسيا وإداريا بالهند، وقد أسهم هذا الارتباط في تعميق التواصل الثقافي بين البلدين، مما دفع رواد النهضة في اليمن إلى محاكاة أنموذج النهضة الهندية الحديثة، وكانت الهند إضافة إلى هذا وسيطا مهما لانفتاح رواد النهضة في اليمن على آداب وثقافات أخرى، فمن خلال معالجتنا لمظاهر الانفتاح والتواصل الثقافي بين عدن والهند اتضح أن الصحافة والتعليم والهجرات والسينما والمسرح كانت من أبرز وسائط تشكيل صورة الهند الإيجابية الناهضة في كتابات أدباء مرحلة النهضة في اليمن، وقد مثلت رواية (كملا ديفي) – بأحداثها وفضائها الهندي وبشخصياتها الهندية– أنموذجا لتأثر رواد النهضة الأدبية في اليمن بمظاهر النهضة الثقافية والسياسية والاجتماعية في الهند في تلك المرحلة، وإضافة إلى ما تكشف عنه هذه الرواية من علاقات ثقافية وترابط اجتماعي بين الشعبين. ومن خلال ذلك كله حاولنا تفسير إعجاب رواد

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

العنوان صورة الهند في أدب مرحلة النهضة في اليمن: رواية (كَمْلا دِيْفِي) أنموذجا

The Image of India in Renaissance Literature in Yemen: Kamla Davi,s Novel as a model

النهضة في اليمن برموز الثقافة الهندية، وقادة التحرر والتغيير في الهند، فوجدنا هذا الإعجاب يمثل ثورة ضد المركزية الأوربية، وترجمة عملية لرفض الهيمنة الغربية على الشرق.

The Image of India in Renaissance Literature in Yemen

: Kamla Davi,s Novel as a model

By: Haidar Mahmood Ghilan

The cultural and literary relations between Arabs and India did not receive the attention they deserve, despite the depth of these relations and their historical heritage. As for the Indian influence in the modern Arab renaissance, studies in this field are still rare, as most of the researchers' efforts were devoted to revealing the role of the West in the Arab Renaissance. Modern, and this is expected in light of the orientation of most of the pioneers of the Renaissance in the Arab countries to the West, drawing inspiration from its renaissance models. In Yemen.

In dealing with these aspects, the researcher used the mechanisms of comparative literature studies, the theory of reception, and the descriptive approach. The research was divided into three axes that dealt with in the first axis the sources of shaping the image of India among the pioneers of the literary renaissance in Yemen, and in the second axis it dealt with the image of India in the novel (Kamla Devi) by Muhammad Ali Luqman, and in its third axis it treated the implications of the pioneers of the literary renaissance in Yemen heading east to inspire a model The Indian Renaissance at a time when attention was drawn to the model of the Western Renaissance, in the hope that later studies would be conducted to investigate other aspects of the Indian influence in modern literature in Yemen due to the historical link and cultural relations between the two countries over the centuries.

It became clear that the cultural relations between Yemen and India were so deep that it was difficult to ignore this relationship when dealing with the beginnings of the literary renaissance in Yemen. Where Aden, the capital of Yemen at that stage - under the British occupation - was politically and administratively linked with India, and this connection contributed to deepening cultural communication between the two countries, which prompted the pioneers of the Renaissance in Yemen to emulate the model of the modern Indian renaissance, and India was in addition to this an important mediator of openness The pioneers of the Renaissance in Yemen on other literatures and cultures. Through our treatment of the manifestations of openness and cultural communication between Aden and India, it became clear that the press, education, immigration, cinema and theater were among the most prominent means of shaping India's positive emerging image in the writings of the writers of the Renaissance period in Yemen, and the novel (Kamla Davy) represented - With its events, its Indian space and its Indian characters - a model for the influence of the pioneers of the literary renaissance in Yemen with the manifestations of the cultural, political and social renaissance in India at that stage, in addition to what this novel reveals of cultural relations and social interdependence between the two peoples. Through all of this, we tried to explain the admiration of the pioneers of the Renaissance in Yemen with the symbols of Indian culture, and the leaders of liberation and change in India. We found this admiration a revolution against European centralism, and a practical translation of rejecting Western domination over the East

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com

www.manaraa.com

هوامش البحث:

[1] لمزيد من التفصيل حول الانفتاح الذي شهدته اليمن في تلك المرحلة على الثقافات المختلفة ، ينظر : بواكير الأدب المقارن في اليمن ومتطلبات النهضة الثقافية : رؤية عربية ترسي أسسا جديدة في المقارنة والانفتاح الثقافي ، حيدر محمود غيلان ،مركز الأمين للنشر والتوزيع ،ط1 ، صنعاء2007 ، ص45-85.

[2] ينظر : مذكرات الكاتب المنشورة باللغة الإنجليزية واللغة العربية ضمن كتاب (محمد علي لقمان المحامي : رجال وشؤون وذكريات) ، إشراف وتحرير وجمع د أحمد علي الهمداني ، جامعة عدن، ط1 2009،ص 115.

[3] النهضة الحديثة في عدن، محمد علي لقمان، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد (226)، 1944/6/18م، ص1.

[4] محمد علي لقنان، رجال وشؤون وذكريات، ص115.

[5] نفسه، ص131-132.

[6] نفسه، ص131.

[7] نفسه، ص132.

[8] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (4) ،1940/1/21م، ص3.

[9] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (53) ،1941/1/19م، ص6.

[10] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (112) ،1942/3/15م، ص2.

[11] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (115)، 1942/4/5م، ص1

[12] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (201)، 1943/12/26م، ص2.

[13] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (260)، 1945/2/25م، ص3

[14] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة) عدن، العدد (264)، 1945/3/25م، ص4

[15] ينظر: صحيفة (فتاة الجزيرة)، العدد (302)، 1945/12/30, ص8.

[16] ينظر: لماذا يفضل العدني الفلم الهندي على غيره، على عبد الله باصهي، فتاة الجزيرة، العدد (302)، 1945/12/30, ص8.

[17] نفسه، ص8.

[18] ينظر: الأغاني والموسيقى العدنية، حمزة لقمان، فتاة الجزيرة، العدد (201)، 1943/12/26، ص 3-4.

[19] لمزيد من التفصيل عن ظهور المسرح والمسرحية في اليمن، ينظر: سبعون عاما من المسرح في اليمن، سعيد عولقي، وكتاب أوليات المسرح في اليمن للدكتور عبد العزيز المقالح.

20 محمد علي لقمان رجال وشؤون وذكريات، ص116.

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com

21 نفسه، ص116.

22 نفسه، ص131.

23 لمزيد من التفصيل حول حياة الكاتب محمد علي لقمان ومؤلفاته ، ينظر: ويكبيديا، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B9%D9%84%D9%8A_%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A7%D9%86 15 /2020/11.

24 نشرت الرواية في طبعتها الأولى بمطابع فتاة الجزيرة في عدن عام 1947م وقد أعاد نشرها الدكتور أحمد الهمداني ضمن كتاب المجاهد محمد علي لقمان المحامي رائد الحركة الفكرية والأدبية الحديثة في اليمن (الأعمال المختارة).

25 كملا ديفي، ضمن كتاب المجاهد محمد علي لقمان المحامي رائد النهضة الفكرية والأدبية في اليمن.. الأعمال المختارة، جامعة عدن، الطبعة الأولى 2005م، ص457.

26 نفسه، ص458-459.

27 نفسه، ص461.

28 نفسه، ص459-460.

29 نفسه، ص462.

30 نفسه، ص465.

31 نفسه، ص473- 475.

32 نفسه، ص476.

33 نفسه، ص464.

34 لمزيد من التفصيل، ينظر: بواكير الأدب المقارن في اليمن ومتطلبات النهضة الثقافية: رؤية عربية ترسي أسسا جديدة في المقارنة والانفتاح الثقافي، ص21-43.

35 ينظر: في سبيل الإصلاح ماضي المسلمين وحاضرهم، نهضة الإسلام الحاضرة وأقوال العلماء فيها، أحمد عبد الوهاب الوريث، مجلة الحكمة، العدد (5) السنة الثانية ربيع الأول 1395هـ – إبريل مايو 1940م، ص138 – 140.

36 القومية، محمد علي لقمان، صحيفة فتاة الجزيرة (عدن)، العدد (36)، 1940/9/1م، ص5.

37 الأدب المسلح، محمد محمود الزبيري، صحيفة الأفكار(عدن)، العدد (1)، 1945، ص18.

38 نفسه، ص20.

حوليات الآداب واللغات
Annals of letters and languages
annaleslettres@gmail.com
www.manaraa.com